

المقاربة الجديدة لتحليل النزاعات العرقية

أ. مرابط رابح
جامعة باتنة

مقدمة:

لقد أدت نهاية الحرب الباردة إلى تغيير في منظور النزاعات ما بين الدول، أي من الصراع الإيديولوجي بين المعسكر الشرقي والغربي، إلى النزاعات داخل الدول، والنزاعات الجديدة هي نتيجة مباشرة لانهدام النظام السوفيتي. لقد لعبت الإيديولوجية دورا محوريا في التنافس بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا خلال الحرب الباردة، لكن اضمحل دورها بشكل واضح عند انهيار النظام الشيوعي.

تدخل هذه الدراسة ضمن تحليل النزاعات الداخلية والدولية للصراعات العرقية التي حدثت في فترة ما بعد الحرب الباردة والتي مست العديد من البلدان سواء في القارة الإفريقية، الأوروبية والاسياوية. ومما لا شك فيه أن النزاعات العرقية هددت الاستقرار العالمي والداخلي لعدة دول نتيجة حدوث تطهير عرقي ومجازر. ويمكن القول أن موضوع المجموعة العرقية هو تطور في دراسة النزاعات في العلاقات الدولية التي أدت إلى الاهتمام بالعوامل الداخلية للدولة. ومن هنا فإن التساؤل الذي تطرحه هذه الدراسة مفاده ما هي أهم المميزات للنزاعات العرقية؟ وما هي أهم الأسباب التي أدت إلى اندلاع النزاعات العرقية؟ وما هي الميكانيزمات والآليات الملائمة لحل النزاعات العرقية؟

لقد اعتقد كثير من المفكرين أن نهاية الحرب الباردة وظهور نظام عالمي جديد من شأنه أن يؤدي إلى استتباب الأمن والسلم الدولي، لكن حدث العكس، لقد شهد العالم عدة نزاعات عرقية في أوروبا وآسيا نتيجة انهيار النظام الشيوعي. "في سنة 1999، بين المعهد الدولي للبحث عن السلام في ستوكهولم في تقريره بأن 27 نزاعا مسلحا حدث عبر العالم اثنان فقط كانت ما بين الدول" (1).

ولقد فاجأت النزاعات العرقية المجتمع الدولي وكذا منظري العلاقات الدولية وتحليل النزاعات الدولية و الكتاب والمختصين الذين كرسوا دراساتهم حول العرقية والقومية وعلى رأسهم إريك هوبسباون (Eric Hobsbawn). ففي أواخر الثمانينات ألقى هذا المختص في القومية محاضرة في بلفاست حول القومية، وفي النهاية خلص إلى القول "لا أحد يمكن أن ينكر زيادة الوعي العرقي والقومي السياسي، لكنه لم يعد عاملا محركا

للتطور التاريخي" (2). وعند اندلاع الحرب في يوغسلافيا والإتحاد السوفيتي السابق حاول تبرير فشل توقعاته مدعيا أنها قومية جديدة. "إن ظهور الشكل الجديد للقومية عند انهيار يوغسلافيا تعد ظاهرة جديدة لأن لها علاقة بتفكك تلك الدولة وهي تختلف عن القومية المعاصرة التي كانت تهدف إلى بناء دولة وتنقصها الإيديولوجية المعاصرة." (3)

فعندما تفقد الدولة المركزية سيطرتها على المجموعات العرقية المتعددة التي تتشكل منها، يحدث تغير في العلاقات الاجتماعية ما بين المجموعات العرقية المختلفة فيصبح مثلا، الصربي الذي عاش مع جاره البوسني لأكثر من أربعين سنة في سلم وتعاون وثقة، يصبح عدوا لدودا بعد ما يتم تسييس القومية من طرف النخبة المتطورة التي تستعمل الأساطير والعواطف من أجل التجنيد العرقي وإحياء القومية، "فالمجال السياسي إذن يتغير بسرعة والمجموعة العرقية المختلفة التي كانت تعد على المستوى الوطني، يجب عليها الآن أن تحسب أقاربها بمجموعات صغيرة جديدة والعديد منهم وجدوا أنفسهم في وضعية إما قوية أو ضعيفة مثل الشيشان في روسيا، أبخاز في ابخازيا، الألبان في مقدونيا، الأرمن في أذربيجان والكروات في البوسنة." (4)

وبعد نهاية الحرب الباردة، أصبحت النزاعات العرقية في مقدمة الأحداث في العلاقات الدولية، ولهذا يتطلب منا أن نعرف النزاع العرقي وأهم مميزاته. يلعب التنافر العرقي دورا كبيرا في اندلاع النزاعات، أي الأصل العرقي يصبح هو الأساس وأهم عنصر لتجنيد الدولة والأفراد حوله.

يمكن تعريف النزاع العرقي بأن الأطراف يعرفون أنفسهم ومنافسهم باختلاف عرقيتهم، وهذا يعني أن الصراع له عرقية وأصل يختلف عن الخصم ، ويتكلمون لغات مختلفة وغيرها. ولكي يكسب النزاع العرقي خاصية عرقية يجب تسييسها، ولهذا يطلق عليه النزاعات العرقية السياسية (Ethnopolitics). ومن جهة أخرى تحدث وتعرف النزاعات العرقية على أساس خلاف بين مجموعتين عرقيتين، وهذا ما لاحظناه أثناء اندلاع الخلاف في البحيرات الكبرى بين قبائل التوتسي والهورتو في رواندا، بين روسيا والشيشان، القبارصة

الأتراك واليونان في قبرص، الأكراد وتركيا وغيرها. ويمكن أن يحدث النزاع ما بين عدة مجموعات عرقية لكنها حالات نادرة الحدوث على المستوى الدولي، وأحسن مثال على

ذلك هو حالة يوغسلافيا أين حدث نزاع بين البوسنيين والصرب والكروات والسلوفان عند بداية التسعينات.

1- أسباب النزاعات العرقية: يحدث النزاع بين الدولة والمجموعة العرقية، وعادة ما تمثل الدولة أغلبية المجموعة العرقية التي تحتكر السلطة السياسية والموارد الاقتصادية، أما المجموعات العرقية الأخرى فهي مهمشة مثل ألبان كوسوفو في يوغسلافيا. وقد تنتوع أسباب النزاع العرقي وقد يشمل عموما تصادم في المصالح وصراع حول حقوق الإقليم، التربية، استعمال اللغة، التمثيل السياسي، الحرية، التمدين، المحافظة على الهوية أو الحكم الذاتي وتقرير المصير.

وتتعدد أسباب الصراع من دولة إلى أخرى، وقد يرجع هذا الصراع إلى الاختلاف اللغوي والديني والتنافس على المصادر الاقتصادية والسياسية للمجموعات العرقية فمثلا، يعتبر اختلاف اللغات هو السبب الرئيسي "وراء الأزمات التي تتخطب فيها بلجيكا وهي التي هددت كذلك الوحدة الوطنية الكندية." (5) وكذلك في ايطاليا بين التيروليين والحكومة المركزية في روما. وتلعب اللغة دورا كبيرا في حدوث النزاعات الدولية وخاصة إذا علمنا أن هناك... "حوالي 6700 لغة في العالم تشمل 250 دولة مستقلة، وهناك ما بين 90 إلى 95% من لغات العالم ليس لها اعتراف رسمي من طرف الدولة المضيفة. وهناك 52% من لغات العالم المتكلمة من طرف اقل من 1000 شخص و 83% من جميع لغات العالم المتكلمة في الدولة هي معرضة للانقراض من طرف الدولة، وقدّر أن أكثر من نصف لغات العالم ستختفي في الخمسينات المقبلة" (6). و تناضل وتتصارع المجموعات العرقية مع الدولة المركزية من أجل الاحتفاظ بهويتها اللغوية.

ويرجع النزاع أيضا إلى العامل الديني الذي هدد الوحدة اللبنانية بين مختلف الطوائف، وكذلك في الهند بين السيخ والمسلمين، وفي ايرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت. وقد يعود أسباب النزاع إلى إلغاء الحكم الذاتي الذي كان مطبقا على إقليم كوسوفو الذي تقطنه أغلبية ألبانية، وعند ما قرر الرئيس السابق سلوبودان ميلوسفيتش إلغاء الحكم الذاتي للألبان اندلع نزاع مسلح، ونفس الشيء ينطبق على أسبانيا عندما ألغت الحكومة الحكم الذاتي للباسك في أسبانيا، ولم يتم إعادته إلا بعد موت الرئيس الأسباني السابق فرانكو.

ويوضح لنا الجدول الآتي أهم النزاعات بين الدولة المركزية والمجموعات العرقية حول الحكم الذاتي، تقرير المصير الخارجي، اللغة، الدين والثروة الطبيعية.

الدولة المضيفة	الأقليات	طبيعة المطالب العرقية
مولدافيا	جاجواز Gagouaze	تقرير المصير الداخلي
رومانيا	المجر	”
رومانيا	الروس	”
كوسوفو	ألبان	”
لترانسديتروس	الروس	”
بلغاريا	الأتراك والمقدونيون	لغوي، ديني أو حقوق ثقافية
المجر	السلوفان	”
لتوانيا	البولونيون	”
فوجفودينا vojvodina	المجريين	وصول إلى المصادر أو المساواة في الفرص
وسط أوروبا	الروم	”
كرواتيا	الصرب	”
لاتفيا(7)	الروس	”

2-مميزات وخصائص النزاعات العرقية: وتتميز النزاعات العرقية بدرجة عالية من العنف، فاستعمال وإطلاق مصطلح الإبادة والتطهير العرقي والمذابح هي من السمات الرئيسية للنزاعات العرقية. فهدف بعض المجموعة العرقية هو محو العرقيات الأخرى وتطهيرها من الدولة أو من التراب الوطني التي تقطن فيه، بدون شفقة أو رحمة وبدون تمييز بين الذكر والأنثى بين الصبي والكهل، و لقد عبر عن هذا الوضع المأساوي البير شنابل (Albert Schnabel). "في النزاعات العرقية المجموعة بإكمالها هي هدف الاعتداء، واستهداف المدنيين تصبح إستراتيجية متعمدة في الحروب العرقية وهذا يؤدي

إلى قسوة ووحشية النزاعات العرقية التي بدورها تساهم في زيادة العداوة والكرهية بين المجموعة العرقية". (8)

ولتبيان ما سبق ذكره نستشهد ببعض الأحداث العرقية، فأكبر مجزرة عرقية حدثت في نهاية الحرب الباردة، وهي الأولى من نوعها، وقعت في شهر أبريل 1994 في إفريقيا، وعلى وجه التحديد في رواندا. وأطراف النزاع هم قبائل الهوتو التي تشكل الأغلبية من السكان والتوتسي التي تمثل الأقلية وهي مهمشة، قامت قبائل الهوتو بحملة تطهير عرقي ضد التوتسي استمرت أكثر من مئة يوم. "ولقد بلغت المذابح ذروتها في أبريل 1994، شارك فيها أكثر من 50 ألف هوتو من جنود وفلاحين مسلحين بالرشاشات، القنابل اليدوية، والسيوف، حيث بدؤوا في البحث عن التوتسي منزل بمنزل والمتعاطفين معهم، وحسب" جيرارد برونيني (Gérard Prunier) إن المذبحة كانت مخططة ومنظمة بقيادة المسؤولين الحكوميين والجيش وراح ضحيتها ما بين 800 ألف إلى 850 ألف توتسي وفر أكثر من 300 ألف من البلاد" (9). وعرفت أيضا أوروبا حربا عرقية لم تشهدها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهي حرب البوسنة أين ارتكب الصرب مجازر وتطهير عرقي ضد المسلمين وخاصة في مدينة موستار وسبريينشا وراح ضحيتها أكثر من 200 ألف شخص.

ومن ناحية أخرى، فإن النزاعات العرقية لها أيضا مراحل، فقد يبلغ النزاع أعلى مرحلة مثل النزاع الذي سبق ذكره، وقد يبلغ مرحلة متوسطة من حدة التوتر مثل النزاع الصربي السلوفيني عند انهيار يوغسلافيا، وأخيرا نزاع عرقي قليل التوتر وغالبا لا تحدث فيه حروب بل صراع بالوسائل السلمية مثل بلجيكا. ويوضح الجدول الآتي أهم النزاعات التي حدثت في الفترة ما بين 1995 و 1999 وتم تصنيف النزاعات إلى ثلاثة أنواع: نزاعات مرتفعة، منخفضة ونزاع سياسي عنيف.

عدد النزاعات المسلحة في فترة 1995-1999 (10)

1999	1998	1997	1996	1995	مراحل النزاع
22	16	20	20	22	حدة النزاعات مرتفعة
77	70	59	31	39	حدة النزاعات منخفضة
151	114	45	44	40	نزاع سياسي عنفي

250	200	124	95	101	المجموع
-----	-----	-----	----	-----	---------

ويمكن أن نستنتج من هذا الجدول أن النزاعات في منتصف التسعينات لا تعكس توقعات المحللين السياسيين الذين اعتقدوا أن نهاية الحرب الباردة ستشهد فترة سلام وأمن على المستوى الدولي.

إلى جانب المميزات والخصائص السابقة، نجد أيضا أن النزاعات العرقية لها قدرة العدوى والانتشار، ويتم ذلك عن طريق القرابة العرقية، فالمجموعات العرقية التي تقطن في دول عديدة ومقسمة بحدود اصطناعية مثل الألبان في كل من: يوغسلافيا، مقدونيا ودولة ألبانيا، فإن أي نزاع في دولة ما ينتشر إلى الدولة الأخرى. فالنزاع الذي حدث في كوسوفو بين الصرب والألبان انتشر إلى كل من مقدونيا ودولة ألبانيا وذلك نتيجة القرابة العرقية. وقد ينتقل النزاع من دولة إلى أخرى متخطيا ومتجاوزا الحدود، وذلك عندما تكون المجموعة العرقية تعيش على مقربة من حدود الدولة والتي تقطنها نفس المجموعة العرقية مثل النزاع الباسكي في أسبانيا وفرنسا، الأكراد في العراق وتركيا. ومما لا شك فيه أن أهم عنصر في انتشار النزاعات العرقية هو العامل الديني وهو أهم عامل مؤثر في انتشار وتجاوز الحدود في وقتنا الحاضر وذلك بسبب وجود عدة دول إسلامية، ويمكن الاستدلال على ذلك بالحرب الأفغانية السوفياتية أثناء الحرب الباردة، حيث "ساند المجاهدون الأفغان، الكثير من المتطوعين جاءوا من دول إسلامية مختلفة" (11). وعند نهاية الحرب الباردة واندلاع النزاع في البوسنة شارك مئات من المتطوعين مع إخوانهم البوسنيين المسلمين في الحرب ضد الصرب.

وحسب دراسة قام بها تيد جيبير (Ted Gurr) ¹³⁹ لـ 139 مجموعة عرقية من بين 233 توصل إلى وجود علاقة الأصل المشترك وقربى مع بلد أو أكثر مجاور، والجماعة المتضررة لها القدرة على التعبئة والحشد والتمرد الطائفي تتزايد بفعل تعبئة الأقسام الأخرى للجماعة في البلدان المجاورة وتتأثر أيضا بالمدى الذي تتم فيه تعبئة هذه الأقسام (سواء كانت أقلية أو مهيمنة ومساندة في الدولة) وتورطهم في صراع مكشوف مع الدولة. (12). ومما سبق يمكن القول، فبالرغم من أن النزاعات العرقية نزاعات داخلية إلا أنها تؤثر على المجتمع الدولي، فقضية كوسوفو قضية داخلية يوغسلافية إلا أنها أثرت على المجتمع الدولي، فالروس تعاطفوا مع الصرب بفضل الترابط الديني الأرثوذكسي،

وتدخل الحلف الأطلسي باسم القيم الإنسانية لوقف الإبادة العرقية الألبانية في كوسوفو. إن النزاعات العرقية لم تعد نزاعات داخلية بحثة لأن لها القدرة على الانتشار والعدوى بسبب الترابط والتعاطف العرقي الذي يساهم في التدخل الخارجي. فالنزاع القبرصي يبين لنا حالة أخرى من التدخل الفعال، فأيدت تركيا القبارصة الأتراك وأيدت اليونان القبارصة اليونانيين، والتاميل القاطنين في الهند لعبوا دورا كبيرا في تأييد الأقلية التاميلية في سري لانكا" (13).

وقد يلعب عامل توزيع المجموعة العرقية دورا كبيرا في تصعيد النزاع وكذلك في تأييد المجموعة الأخرى التي هي محل خلاف وتساهم أيضا في: إما المحافظة على استقرار الدولة أو تهديد استقرارها. وقد يتوقف استقرار الدولة بالدرجة الأولى على مدى تمركز أو تبعثر وتشتت المجموعة العرقية سواء القاطنة داخل الدولة أو خارجها. فإذا كانت مبعثرة في إقليم معين فتأثيرها على أمن الدولة قليل، أما إذا كانت متمركزة في منطقة معينة فلها القوة والقدرة على التأثير في استقرار الدولة. فعلى سبيل المثال يتمركز الشيشان في منطقة واحدة في روسيا وبذلك هددوا استقرار الوحدة الروسية، ونفس الشيء ينطبق على ألبان كوسوفو فمعظمهم يقطنون في منطقة جغرافية واحدة في يوغسلافيا ولذلك قاوموا النفوذ الصربي. ومن جهة أخرى نلاحظ أن الأقلية المشنتة لها تأثير قليل على استقرار الدولة لأنها مبعثرة في الإقليم مثل الأقلية الإيطالية في ألبانيا. ويشترط للأقليات المتمركزة أن تكون ذات أغلبية مطلقة في المنطقة، مع مراعاة التشتت والتبعثر، والجدول الآتي يبين التوزيع الديموغرافي للمجموعات العرقية.

الجغرافية الديموغرافية للأقليات العرقية (14)

متمركزة أو مبعثرة
مبعثرة
متمركزة
مشتتة

أغلبية مطلقة	التيرووليون في إيطاليا	الروس في كازاخستان
”	الباسك في أسبانيا	المجريون في ألمانيا
”	المجر في سلوفاكيا	الأكراد في إيران
”	الروس في استونيا	/
أغلبية نسبية	داغستان روسيا	المجريون في رومانيا
أقلية محلية	إيطاليون في سلوفاكيا	الألمان في بولونيا وروسيا

”	يونانيون ألبانيا	الألبان في إيطاليا
”	البولونيون في التشيك	اليهود في المجر ورومانيا
”	المجريون في سلوفاكيا وسلوفاكيا	/

ومن خلال هذا الجدول نرى مثلا أن التيروليين متمركزين في منطقة واحدة في إيطاليا، ولهذا حققوا مطلبهم المتمثل في الاستقلال اللغوي وهي اللغة الألمانية عن اللغة الإيطالية المهيمنة.

3- سياسة الدولة اتجاه المجموعات العرقية: يمكن للدولة التي تواجهها مشكلات عرقية أن تتبنى عدة اختيارات سياسية وهي تتوقف بالدرجة الأولى على التركيبة العرقية والمراكز التي تحتلها في الدولة المضيفة. ولا تسمح غالبية دول العالم بالمساومة حول وحدتها وتكاملها مع المجموعة العرقية التي تضمها داخل حدودها، ومن جهة أخرى تستخدم الدولة قوتها ونفوذها لتدعيم مجموعة عرقية تقطن خارج إقليمها، والهدف من تلك السياسة هو تأييد ومساندة دولة مثلا للقضاء على التمرد العرقي، الحركات الانفصالية أو التدخل في أزمة داخل دولة غير حليفة مثل إنشاء مراكز التدريب العسكري وتقديم الدعم المالي. فمثلا أيدت روسيا الصرب في حرب كوسوفو وفي نفس الوقت تقمع الحركة الانفصالية في الشيشان. وفي الماضي إذا نظرا إلى أيام انفصال بنغلادش عن باكستان، فالهند ساندت حق تقرير المصير للبنغاليين في إقامة دولتهم في شرق باكستان، وفي الوقت نفسه ترفض تقرير المصير للناجوز والميزوس والكشميريين (15). وقد تطلب الدولة يد المساعدة الخارجية للقضاء على الحركة التمردية التي تحدث داخل إقليمها والتي تهدد وحدتها، وهذا ما لاحظناه أثناء تمرد الكطنجيون في الزائير سابقا الغني بالثروات المعدنية، ففي السبعينات تدخلت كل من فرنسا وبلجيكا لمساعدة نظام موبوتو للقضاء على التمرد العرقي.

و تسعى الدولة إلى إيجاد وسائل وخطط لتجنب النزاعات العرقية، ولهذا تعد الخريطة السياسية العرقية ذات أهمية لكل دولة تواجه المشاكل العرقية. وتركز الخريطة على المجموعة العرقية في الجيش، كالضباط الساميين في الجيش ومدى موقفهم من القضية العرقية. فالجيش اليوغسلافي كان يتكون من الأغلبية الصربية، لذا تحالف مع

الزعيم الصربي ميلوسوفيتش أثناء اندلاع حرب البوسنة وحرب كوسوفو. ويجب على الدولة أيضا أن تأخذ بعين الاعتبار المجموعة العرقية التي تتقاسم حدودها ومركزها السياسي والاقتصادي في الدولة المجاورة، وتحتوي الخريطة العرقية على العناصر الآتية:

1- "المجموعة العرقية التي تحتل مناصب سياسية واقتصادية مؤثرة ومناثرة في آن واحد.

2- المجموعة العرقية التي لها علاقة مع قوى أجنبية ذات عداءات محتملة.

3- المجموعة العرقية التي تقطن على الحدود الإقليمية الحساسة.

4- المجموعة العرقية ذات الوزن السياسي الذي يمكن أن يهدد النظام السياسي القائم." (16)

وهناك أيضا عوامل أخرى تلعب دورا كبيرا في مدى استقرار الدولة وخاصة عوامل الحرمان والاحتياجات. فالحرمان هو منع المجموعة العرقية من المشاركة السياسية والحصول على المناصب السياسية وتهميش دورها في المجتمع، فهي قد تعاني من البطالة أكثر من غيرها من المجموعات الأخرى، والأحداث التي عرفتها فرنسا هي دليل على تمرد بعض الجاليات الأجنبية على الحكومة الفرنسية، لأنها مهمشة عن المجتمع الفرنسي وتعاين من التفرقة العنصرية خاصة في مجال التوظيف. "فالحرمان يؤدي بالأفراد إلى تكوين مجموعات عرقية في بعض الأحيان على أسس عرقية لكي تنافس على المصادر النادرة وهذه بدورها تتحول إلى العنف." (17)

وقد تعود سبب النزاعات العرقية إلى مشكل الاحتياجات وهذه النظرية يتزعمها الأستاذ جون بيرطون (John Burton) وخلصه أفكاره أن الإنسان طالما الدولة لا تلبى احتياجاته فهو يتمرّد عليها وهذه الاحتياجات قد تكون مادية مأكّل، منزل، منصب عمل وقد تكون غير مادية حرية، مشاركة سياسية، حقوق الإنسان...

ويمكن إضافة عوامل أخرى قد تؤثر على استقرار الدولة، فحسب دراسة للأستاذ وليد عبد الحي استنتج أن هناك خمسة عوامل تؤثر على استقرار الدولة وهي:

1- "حجم السكان: فإذا كان عدد المجموعة العرقية كبيرا، فذلك بطبيعة الحال يؤدي إلى سهولة التأثير على الدولة، أما إذا كان عدد السكان قليل فالتأثير يقل.

2- وزن وثقل المجموعة العرقية التي تتقاسم الحدود وخاصة إذا كانت تحتل المناصب السياسية الهامة وكذلك المراكز الاقتصادية.

3- درجة الترابط والاتصال بين مجموعتين عرقيتين تقطن دولاً مختلفة.

4- تقارب المجموعة العرقية بعضها عن بعض أو بعدها.

5- المنطقة التي توجد فيها المجموعة العرقية، هل هي غنية بالموارد الاقتصادية والطبيعية مثل البترول، الذهب النحاس أم فقيرة أو هل هي منطقة حدودية أو غير حدودية لأن ذلك يلعب في النزعة الانفصالية." (18).

فالدولة لديها أيضاً عدة سياسات لمواجهة المجموعات العرقية، وأحسن سياسة وهي دمج الأقليات داخل المجتمع، فإذا نجحت في ذلك فمن المحتمل أن تحقق الاستقرار السياسي، والدمج قد يشمل عدة نواحي أجزائها تيد جبر في الجدول الآتي

سياسة الدولة تجاه دمج الأقليات / الاتجاه العام الثقافة

الامتصاص	اندماج اجتماعي وسكني للطبقات. -تعليم إصلاح طبقاً للغة السائدة. -سهولة الوصول للتعليم الجامعي.	-اعتمادات مالية للتطوير. -برامج صحية وترفيهية. -تدريب في العمل -قوانين مضادة للتمييز.	- حقوق مدنية سياسة مضمونة. - تعزيز انتقائي للأحزاب السائدة والمناصب الحكومية. -ضمان مصالح مجموعات الأقليات
التعددية	-حماية الاختلافات الثقافية والدينية. - التعليم والإعلام بعدة لغات.	- تأهيل اجتماعي واقتصادي للمجموعة. -تمثيل المجموعة في الوظائف الخاصة والعامة.	تمثيل المجموعات في المجالس الشرعية والانتخابات الحكومية". (19)

يبين هذا الجدول أن سياسة الدمج قد شملت عدة ميادين ثقافية، سياسية واقتصادية، فمن الناحية الثقافية نجد عنصر أساسي وهو حماية الاختلافات الثقافية والدينية: أي احترام حرية الممارسة الدينية من طرف المجموعة العرقية المتعددة الأديان، وكذلك حرية التعليم باللغات المختلفة للمجموعة العرقية. ومن الناحية الاقتصادية فلا بد من تساوي فرص العمل والوصول إلى الوظائف السامية لكل المجموعات العرقية بدون تمييز بينها. ومن الناحية السياسية فلا بد من تمثيل للمجموعات العرقية في المجالس المنتخبة وذلك حسب عدد كل مجموعة عرقية، وبهذا يتحقق التكافل الاجتماعي والاستقرار في الدولة، فالتعددية السياسية معناها إعطاء فرص لكل المجموعات.

4- تفسير وتأثير النزاعات العرقية على استقرار الدول: ونجد أيضا من بين مميزات النزاعات العرقية نظرية المعضلة الأمنية وهي من النظريات الحديثة في العلاقات الدولية، ولها علاقة مباشرة بدراسة العرقية و انهيار الدولة المتعددة الأعراق. وترجع نظرية المعضلة الأمنية في النزاعات العرقية على وجه الخصوص والعلاقات الدولية على العموم إلى المدرسة الواقعية التي تعتقد أن النظام الدولي في حالة فوضى وذلك بسبب غياب سلطة عليا قادرة على فرض الأمن والسلم في المجتمع الدولي، "لأن الدول لا يمكن لها أن تعتمد على سلطة عليا تفرض الأمن على المستوى الدولي، فما عليها إلا الاعتماد على نفسها"(20).

تؤدي المعضلة الأمنية إلى زيادة حدة التوتر والخوف وسباق التسلح بين دولتين أو أكثر، لأن كل دولة خائفة من الأخرى وتشكك في نواياها. وتحدث وتبرز المعضلة الأمنية حينما "تحاول الدولة زيادة قوتها العسكرية بهدف حماية أمنها لأن الدول المجاورة أو المنافسة لها هي بدورها تزيد من قوتها العسكرية والنتيجة هي الشعور بالخوف وعدم الأمن لدى الدول الأخرى، وبعبارة أخرى" فإن سعي الدول إلى زيادة قواتها يترتب عليه في نهاية الأمر تزايد شعورها بعدم الأمن بدلا من أن يكون مدعاة لمزيد من الشعور بالأمن"(21). فهذا النموذج يؤدي بالدرجة الأولى إلى سباق التسلح على المستوى الدولي.

فحالة الفوضى في النظام الدولي هي مشابهة للفوضى التي تكلم عنها "هوبز" صراع الكل ضد الكل وشريعة الغاب هي السائدة في المجتمع والصراع من أجل البقاء على قيد الحياة هي السمة الرئيسية للمدرسة الواقعية. يجب على الدول أن تتخذ الإجراءات

والاحتياطات اللازمة للدفاع عن نفسها لكي تبقى على قيد الحياة. فالدولة قد تقرر مثلا تطوير أسلحتها لحماية نفسها، فهذا القرار يعتبر في نظر الدول الأخرى هو تهديد لأمنها وهذا ما أكده كوفمان (S. Kauffman) "لأن الإجراءات المتخذة من طرف دولة واحدة لحماية نفسها تهدد الدول الأخرى، لأن الدول تتفاعل في محيط فوضوي الذي يعني غياب سلطة عليا لحمايتهم من بعضهم البعض. وفي ظل هذا المحيط الفوضوي فأية خطوة تتخذ من طرف الدولة لأسباب أمنية دفاعية بحتة تفسر على أساس زيادة قوتها وأمنها على حساب الطرف الآخر، مما يعتبر تهديدا لأمنها". (22)

فمثلا دولة أ تشتري وتصنع أسلحة لأغراض دفاعية بحتة، فدولة ب تعتبر تلك الأسلحة هجومية تهدد أمنها، وهنا تبرز المشكلة وهي صعوبة التفرقة بين الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية. فالمدافع والمدرعات يمكن استعمالها لأغراض دفاعية وأغراض هجومية. ونفس الشيء ينطبق على تحالف دولة ما مع دولة أخرى من أجل الدفاع عن نفسها، فهذه الخطوة تعتبرها الدولة الثالثة تهديدا لأمنها لذا يتحتم عليها البحث عن التحالف مع دولة ما. فالمعضلة الأمنية يترتب عنها فعل ورد الفعل وهي عبارة عن حلقة متسلسلة لا تنتهي وقد تؤدي إلى اندلاع الحرب. وحسب باري بوزن (Barry Posen) فالمعضلة الأمنية تصبح أكثر حدة حينما يتوفر شرطان:

1- "حينما تكون القوات العسكرية الهجومية والدفاعية أكثر أو أقل تشابها، لأن أية قوة ملائمة للحملة الدفاعية هي ملائمة للحملة الهجومية.

2- مدى فعالية الهجوم عن الدفاع، فإذا كانت العمليات الهجومية أكثر نجاحا من العمليات الدفاعية، فالدول تختار طبعا الهجوم إذا أرادت البقاء على قيد الحياة. فمزايا الهجوم يمكن أن يتسبب في حرب وقائية إذا اعتقدت أن ذلك يحقق لها مزايا عسكرية". (23)

لقد حظيت نظرية المعضلة الأمنية بقسط وافر من العناية والاهتمام في دراسة العلاقات الدولية أي ما بين الدول. ففي منتصف التسعينات أصبحت هذه النظرية تستعمل لتحليل النزاعات داخل الدولة وخاصة الخلافات العرقية، أي تغير منظور الدراسة فيما بين الدول إلى داخل الدولة، وأول من تطرق إلى هذه النظرية هم الواقعيون، "فالتحليل الداخلي للدولة يعتبر مفاجئة لأن الواقعيين الجدد لم يهتموا ولم يتطرقوا إلى العوامل والعلاقات الداخلية ودورها في العلاقات الدولية لمعالجة النزاعات العرقية". (24)

وأول من استعمل مصطلح المعضلة الأمنية لتحليل النزاعات والصراعات العرقية على المستوى الداخلي هو باري بوزن، وكما هو معلوم فالواقعيون لم يهتموا كثيرا بالفاعلين الآخرين باستثناء الدولة التي يعتبرونها أهم فاعل في العلاقات الدولية . فالدولة كأهم فاعل في العلاقات الدولية مقاربة تقليدية لا تتلاءم مع التطورات الحديثة في عالمنا المعاصر "ويمكن إرجاعها إلى القرن 17 أو 18، حينما كانت السلطة في يد الملك أو الأمير، وكانت الدويلات تحت زعامة السادة الإقطاعيين وكل مقاطعة منعزلة عن الأخرى".(25) و في تلك الفترة كل دولة كان ينظر إليها كأنها كيان منفصل عن بقية الدول الأخرى، وتحدث الأستاذ مونسباك Mansbach عن تلك المرحلة التاريخية "فاعتبر الدول المستقلة عن بعضها البعض ومنفصلة تماما عن الدول الأخرى ولا توجد سلطة أعلى من سلطة الدولة وتنتم الدولة بالسيطرة المطلقة على أراضي إقليمها وبسيادة مطلقة ومتساوية مع الدول الأخرى".(26) وهذا يعني أن تلك المرحلة كانت الدولة تراقب حدود إقليمها ومنغلقه عن الدول الأخرى، وبعبارة أخرى ما يحدث داخل الدولة لا يؤثر على الدول الأخرى، أي يوجد انفصال بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وهذه الفرضية أصبحت تسمى في العلاقات الدولية كنموذج كرة البليارد (Billiard Ball model)، ففي هذا النموذج ما يحدث داخل الدولة لا يؤثر على الدول الأخرى، أي كأننا في نسق مغلق لا يؤثر ولا يتأثر بما يحدث خارجه. وهذه صورة غير واقعية عن الخلافات العرقية التي لها قدرة الانتشار وعدوى الصراع الطائفي. وحسب تيد جبر " يعزى الانتشار إلى عملية الطفح (Spill Over) التي تؤثر من خلال الصراع في بلد واحد في العمل والتنظيم السياسي في البلاد المجاورة، وتحدث أغلب آثار الطفح الهامة في الصراع العرقي وسط الجماعات التي تنتشر على الحدود بين الدول إذ توجد 139 جماعة عرقية من الأقليات في خطر أي حوالي ثلثي العدد الخاضع للدراسة وهو 233 مجموعة عرقية لهم أصل المشترك وقربى مع بلد أو أكثر مجاور، وأن الجماعة المتضررة وقدرتها على التعبئة والحشد والتمرد الطائفي تزايد بفعل تعبئة الأقسام الأخرى للجماعة في البلدان المجاورة"(27).

ويمكن القول أن النزاع الداخلي يؤثر على النظام الدولي والعكس صحيح، فالنزاع في البوسنة أثر على أوروبا الغربية والشرقية والأمم المتحدة والحلف الأطلسي والدول الإسلامية ،ونفس الشيء ينطبق على كوسوفو. ومما سبق، لا يمكن الاعتماد على مقاربة

مستوى واحد لتحليل النزاعات العرقية وهي الدولة كما يعتقد الواقعيون، وأحسن مقارنة تحليلية لدراسة العرقية هي المجموعة العرقية التي تصبح أهم وحدة تحليل.

تعتمد نظرية المعضلة الأمنية في تحليلها وتطبيقها على النزاعات العرقية، وبالخصوص على انهيار الدولة مثل ما حدث للاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وبروز المشكلات العرقية. إن انهيار الدول السابقة نتج عنه انهيار السلطة المركزية وحدث فوضى على المستوى الداخلي بسبب انهيار السلطة المركزية، فتحدث الفوضى ويغيب الأمن ما بين المجموعات العرقية والنتيجة هي كل مجموعة عرقية تعتمد على نفسها من أجل البقاء على قيد الحياة وهذه الحالة مشابهة للوضع السابق (النظام الدولي في حالة فوضى)، لكن هذه المرة على المستوى الداخلي: النظام الداخلي في حالة فوضى. وتتمثل أفكار بوزن في: ظهور "المعضلة الأمنية داخل الدولة حينما تتوفر الشروط المشابهة لحدوث المعضلة الأمنية على المستوى الدولي" (28) وهذا معناه تطبيق حالة الفوضى التي تحدث في النظام الدولي على النظام الداخلي الذي يتميز بالفوضى وانعدام الأمن.

ولا يمكن للمجموعات العرقية أن تعتمد على الدولة لحمايتها لأنها منهار ومفككة على أسس عرقية، فكل مجموعة عرقية يجب عليها أن تتجند وتتولى بنفسها الدفاع عن أقاربها وهذا هو التهديد الحقيقي للمجموعات العرقية الأخرى ويرجع ذلك إلى سببين:

- 1- "القوميون الذين يتبعون سياسة التجنيد فهذا دليلا على رغبات هجومية التي تعتبرها المجموعات الأخرى تهديدا لأمنها وسلامتها.
- 2- القدرات العسكرية المستعملة للدفاع يمكن استعمالها للهجوم ومزايا الهجوم أكثر من الدفاع في الخلاف الطائفي". (29)

إضافة إلى ذلك يترك انهيار الدولة فراغا وفجوة أمنية كبيرة، وهذه فرصة يمكن استغلالها من طرف زعماء المجموعة العرقية لحشد وتجنيد عرقيتهم لإنشاء وطن خاص بهم على حساب الأقليات الأخرى، وخير دليل على ذلك هو الزعيم الصربي ميلوسوفيتش الذي حاول إنشاء دولة صربيا الكبرى على حساب المجموعة العرقية البوسنية والكرواتية. فعند اندلاع الحرب في يوغسلافيا "كافحت المجموعات العرقية من أجل بقائها في محيط لا يمكن لها الاعتماد على الدولة لحمايتها، وفوضى الحرب تقوي الهوية العرقية وتسبب في نشر القومية وتزيد من الحقد والكرهية والخوف واندلاع الحرب تجعل من المستحيل الثقة في الخصم في المستقبل". (30)، فالبوسني الذي عاش لعدة قرون مع

جاره الصربي والكرواتي أصبح كل واحد منهما خائف ولا يثق في الآخر لأن الولاء العرقي هو أهم ميزة المعضلة الأمنية. "والرجوع إلى الأساطير، الماضي، الذكريات التاريخية واستغلالها من طرف الزعماء، والانبعث القومي وخاصة القومية الصربية يزيد من الحقد والكراهية للمجموعات العرقية الأخرى غير الصربية ولهذا نتج عنها:

1- "أن الأطراف نظرت إلى الهويات الأخرى كتهديد هجومي، إضافة إلى ذلك يتكون معظم الجيش اليوغسلافي من الضباط الصرب، إذ دربوا معظم أفراد الصرب ووزعوا الأسلحة في عدة مناطق من البلاد.

2- الجمهوريات الجديدة لم تكن متساوية في القوة." (31)

خاتمة:

مما سبق تناوله، نصل إلى أن ليس هناك ميزة أو سبب واحد للنزاعات العرقية وإنما هناك أسباب متعددة تخص كل نزاع على حدة. ولعل أهم معيار يمكن استخدامه بصفة مزدوجة كسبب وحل للنزاعات العرقية هو نظرية الاحتياجات الإنسانية، لأن الخلاف يندلع بسبب عدم تلبية احتياجات المجموعة العرقية ويمكن حل الصراع عن طريق تلبية الاحتياجات سواء كانت مادية تقسيم الثروة، الإقليم، تقسيم السلطة أو غير مادية مثل الهوية والحرية. ولقد تبين لنا أن ظاهرة النزاعات هي أهم عامل مؤثر في الساحة الدولية وخاصة في فترة الحرب الباردة وأغلب نشاط ومهمة قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة المنتشرة عبر العالم هي مكرسة للنزاعات الداخلية.

الهوامش

1-David Callahan, The Enduring Challenge ,Self Determination and Ethnic Conflict in the 21 First Century,(New York:Carnegie Challenge 2002),p.13.

2-Robin Wilson ,The Politics of Contemporary Ethno-Nationalist,Nation and Nationalism N°7 (3) 2001,p.23.

3-Ibid,p.23.

4-ethnic conflict

,<http://wwwcis.edu/substitutes/cepdc/pul/role/chap03.pdf>.last visited 10 may 2008.

5-A.Said and Saimmons Editors,Ethnicity in an International Context,(New Brunswick Transactions books),p.25.

- 6- Svante Ocornell, Institutions Identity and Ethnic Conflict, International Experiences and its Implications for the Caucase, Nation and Nationalism 2:3 1997, p.7.
- 7-Stephan Wolf, Beyond Ethnic Politics in Central Europe and Eastern Europe, Journal of Ethnopolitics and Minority Issue.4 2002, p.4.
- 8-Albert Schnabel, Preventing Wars Within States, What Can Intergovernmental Organisation do in Africa in a Continent Apart ,Kosovo Africa and Humanitarian Intervention, Edited by Elizabeth Sidnapolis.op.cit; p3.
- 9-T.David Masson ,Structure of Ethnic Conflict Resolution Versus Secession in Rwanda and Sri Lanka, Terrorism and Political Violence Vol 15 N°4 Winter 2003, p.108.
- 10-Military Conflict, <http://www.infoplease.com.ipa/A08555617.html> acceded November 2006.
- 11-Jonathan Fox, Is Ethnoreligious Conflict a Contagious Disease, Studies in conflict and terrorism 27 :9 2004, p.902.
- 12 تيد روبرت جير، أقلييات في خطر، ترجمة مجدي عبد الحكيم .(القاهرة :مكتبة مدبولي 1999)ص، 89
- 13-Stephan Ryan, Nationalism and Ethnic Conflict in Issue in World Politics, Edited by Brian White, Richard Little and Michael Smith, (London: Palgrave Macmillan Press 1997), p.164.
- 14-Raczka Witold, Le Conflit Ethnique et sa Nature et les Moyens de sa Prevention par la Communauté Internationale, Relations Internationales N° 8 hiver 1996, 105.
- 15-Walker Connor, Ethnonationalism, Journal of International Affairs Vol 27 1973, p.13.
- 16-C.H.Enloe, Ethnic Soldiers, State Security in a Divided Society, (Penguin Books 1980), p.5.
- 17-Monica Duffy Toft, Indivisible Territory, Geography Concentration and Ethnic War, Security Studies 12 N°2 winter 2002/3, p.82.
- 18-وليد عبد الحي، دورا لموقع الجغرافي للأقليات في نجاح ميكانيزمات اللامركزية .(المجلة العربية للعلوم السياسية العددان 4، 3 سبتمبر 1989)ص، 110، 111.
- 19- تيد روبرت جير أقلييات في خطر ،مرجع سابق، ص369.
- 20-Paul Roe ,The Intrastate Security Dilemma Ethnic Conflict as a tragedy, (Journal of Peace Research Vol: 36 N° 2 1999), p.185.

21-محمد طه بدوي،مقدمة إلى العلاقات السياسية الدولية، (١ لإسكندرية: الياس للتكنولوجيا والمعلومات 2004)،ص،20

22- Paul.B.Downes,The Holy Land Divided :Defending Partition as a Solution to Ethnic Wars,Security Studies Vol :10 N° 4 Summer 201,p.10.

23-Barry Posen,The Security Dilemma and Ethnicity,(Survival 35(1) 1995),P.95.

24-Paul Roe,The Intrastate Security Dilemma,Ethnic Cconflict as a Tragedy.op.cit;.p.188.

25-J.W.Burton,World Society,(Cambridge University Press 1968),p.2.

26-R.W.Mansbach,et al,The Web of World Politics,Non State Actors in the global system,(New Jersey Prentice Hall 1975),p.13.

- تيد روبرت جير،أقليات في خطر،المرجع السابق،127 27

28-Paul Roe,The Intrastate Securiy Dilemma, Ethnic Conflict as a tragedy ,op.cit.;p.186.

29-Chaim Kauffman,Possible and Impossible Solutions to Ethnic Civil Wars,International Security Vol N°4 Spring 1996,p.147.

30-Paul .B.Downes,The Holy Land Divided,Defending Partition as a Solution to Ethnic Wars,op.cit.;p.62.

31-Barry Posen,The Security Dilemma and Ehnric Conflict, in Essential Reading in World Politics,Edited by Karen Mingst and Jack Snyder,(Norton and Company 2001.),p.387.